مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية /جامعة بابل

توظيف المنهج الوصفي وتطبيقاته

م.م. راشد هادي كاظم المعموري
مديرية تربية محافظة بابل

Employing the descriptive method and its applications

Asst. Lec. Rashid Hadi Kadhim Al-Maamouri
Directorate of Education, Babylon Governorate

Abstract

The descriptive approach has a special place in the field of educational research, as a large percentage of published educational studies are descriptive in nature, and the descriptive approach is more suitable for many educational problems than others. Studies that are concerned with assessing trends, seeking to identify points of view, aiming to collect demographic data about individuals, or aiming to identify working conditions and methods, are all matters that are best addressed through the descriptive approach. The descriptive approach is not easy, as it may seem, as it requires more than just describing the status quo. Like all other research methods, it requires choosing the appropriate research tools and ensuring their validity, as well as being careful in choosing the sample and accurate in analyzing the data and drawing appropriate conclusions from it. However, the descriptive approach has a number of problems that are unique to it. Case report studies that resort to using questionnaires or interviews as a means of collecting data suffer from a lack of response to them. Many of the questionnaires sent to individuals may not return for one reason or another. Also, people who are requested to be interviewed may not fulfill their obligations, and thus the researcher loses a lot of data that could have come from them, which may affect the reliability of the results.

Keywords: function, methodology, description, application.

الملخص

يحظى المنهج الوصفي بمكانة خاصة في مجال البحوث التربوية، حيث أن نسبة كبيرة من الدراسات التربوية المنشورة هي وصفية في طبيعتها، وان المنهج الوصفي يلائم العديد من المشكلات التربوية اكثر من غيره، فالدراسات التي تعنى بتقييم الاتجاهات، أو تسعى للوقوف على وجهات النظر، أو تهدف إلى جمع البيانات الديمغرافية عن الأفراد، أو ترمي إلى التعرف على ظروف العمل ووسائله، كلها أمور يحسن معالجتها من خلال المنهج الوصفي، والمنهج الوصفي ليس سهلاً، كما قد يبدو، فهو يتطلب أكثر من مجرد عملية وصف الوضع القائم للأشياء، إنه ككل مناهج البحث الأخرى يتطلب اختيار أدوات البحث المناسبة والتأكد من صلاحيتها، وكذلك الحرص في اختيار العينة والدقة في تحليل البيانات والخروج منها بالاستنتاجات المناسبة، ومع ذلك فإن للمنهج الوصفي عدداً من المشكلات الخاصة به دون سواه. فدراسات تقرير الحالة التي تلجأ إلى استخدام الاستبيانات أو

المقابلات كوسائل لجمع البيانات تعاني من نقص في الاستجابة لها. فالكثير من الاستبيانات المرسلة للأفراد قد لا تعود لسبب أو لأخر، كما أن الأشخاص الذين يطلبون للمقابلة قد لا يوفون بالتزاماتهم، وبذلك يفقد الباحث الكثير من البيانات التي يمكن أن تأتي منهم، الأمر الذي يحتمل أن يؤثر على مصداقية النتائج.

الكلمات المفتاحية: وظيفة، منهج، وصف، تطبيق.

هدف المنهج الوصفي:

تهدف البحوث الوصفية إلى وصف ظواهر أو أحداث أو أشياء معينة وجمع الحقائق والمعلومات والملاحظات عنها ووصف الظروف الخاصة بها وتقرير حالتها كما توجد عليه في الواقع. وتشمل البحوث الوصفية أنواعاً فرعية متعددة تشمل الدراسات المسحية ودراسات الحالة ودراسات النمو أو الدراسات التطويرية. وفي كثير من الحالات لا تقف البحوث الوصفية عند حد الوصف أو التشخيص الوصفي، وتهتم أيضاً بتقرير ما ينبغي أن تكون عليه الأشياء والظواهر التي يتناولها البحث وذلك في ضوء قيم أو معايير معينة واقتراح الخطوات أو الأساليب التي يمكن أن تتبع للوصول بها إلى الصورة التي ينبغي أن تكون عليه في ضوء هذه المعايير أو القيم، وهذه البحوث تسمى بالبحوث الوصفية المعيارية أو التقويمية Normative or Evaluative Research، ويستخدم لجميع البيانات والمعلومات في أنواع البحوث الوصفية أساليب ووسائل متعددة مثل الملاحظة، المقابلة، الاختبارات، الاستفتاءات، المقاييس المتدرجة.

ويسهل فهم طبيعة البحوث الوصفية إذا حصل الفرد أولاً على بعض المعلومات عن خطوات البحث المختلفة، والطرق المتباينة المستخدمة في جمع البيانات والتعبير عنها، والأنواع العامة التي يمكن أن تصنف تحتها الدراسات. (ابو شعيرة، ٢٠٠٨، ٧٦)

لا يقدم الباحثون في الدراسات الوصفية مجرد اعتقادات خاصة، أو بيانات مستمدة من ملاحظات عرضية أو سطحية، ولكن كما هو الحال في أي بحث يقومون بعناية بـ (١) فحص الموقف المشكل، و(٢) تحديد مشكلتهم ووضع فروضهم، و(٣) تسجيل الافتراضات التي بنيت عليها فروضهم وإجراءاتهم، و(٤) اختيار المفحوصين المناسبين والمواد المصدرية الملائمة، و(٥) اختيار أساليب جمع البيانات أو أعدادها، و(٦) وضع قواعد لتصنيف البيانات تتسم بعدم الغموض، وملاءمة الغرض من الدراسة، والقدرة على إبراز أوجه التشابه أو الاختلاف أو العلاقات ذات المغزى، و(٧) تقنين أساليب جمع البيانات، و(٨) القيام بملاحظات موضوعية منتقاة بطريقة منظمة ومميزة بشكل دقيق، و(٩) وصف نتائجهم وتحليلها وتفسيرها في عبارات واضحة محددة، ويسعى الباحثون إلى أكثر من مجرد الوصف فهم ليسوا – أو ينبغي ألا يكونوا – مجرد مبوبين أو مجدولين، يجمع الباحثون الأكفاء الأدلة على أساس فرض أو نظرية ما، ويقومون بتبويب البيانات وتلخيصها بعناية، ثم يحللونها بعمق، في محاولة لاستخلاص تعميمات ذات مغزى تؤدي إلى تقدم المعرفة. (الجابري، ٢٠١١، ٨٨)

مسلمات المنهج الوصفي

من الضروري أن تتوافر لدى الباحث وصف دقيق لما يقوم بدراسته من ظواهر قبل المضي في حل المشكلة التي اقتضت دراسة هذه الظاهرات فلن يستطيع الباحث أن يحل مشكلة تتصل بالتعليم سواء أكانت مشكلة المدرس أو التلميذ، أم مشكلة الطريقة أو المحتوى، أو مشكلة الإدارة أو التخطيط ما لم يتوافر لديه أوصاف لهذه الظواهر.

ويقوم المنهج الوصفي بوصف ما هو كائن، وتفسيره، وهو ما يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع. كما يهتم أيضا بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات، وطرائقها في النمو والتطور.

وذكر بان المنهج الوصفي من أكثر مناهج البحث استخداما وخاصة في مجال البحوث التربوية والنفسية والاجتماعية والرياضية، ويهتم البحث الوصفي بجمع أوصاف دقيقة علمية للظاهرات المدروسة، ووصف الوضع الراهن وتفسيره، وكذلك تحديد الممارسات الشائعة والتعرف على الآراء والمعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات، وطرائقها في النمو والتطور، كما يهدف أيضا إلى دراسة العلاقات القائمة بين الظواهر المختلفة.

وأشارت أيضا إن المهمة الجوهرية للوصف هي أن يحقق للباحث فهما أفضل للظاهرة موضوع البحث ولا يقتصر البحث الوصفي على جمع البيانات وتبويبها، وإنما يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك لأنه يتضمن قدراً من التفسير لهذه البيانات، لذلك يجب على الباحث تصنيف البيانات والحقائق وتحليلها تحليلا دقيقا كافيا، ثم يصل إلى نتائج تعمم بشأن الظاهرة موضوع الدراسة.

وأن من الضروري أن يتوفر لدى الباحث وصف دقيق لما يقوم بدراسته قبل أن يمضى في حل المشكلة، فالمنهج الوصفي لا يقتصر على جمع البيانات وتبويبها، بل يتضمن قدراً من التفسير، وعلى الرغم من أن جمع البيانات ووصف الظروف أو الممارسات الشائعة خطوات ضرورية في البحث، إلا أن عملية البحث لا تكتمل حتى تنتظم هذه البيانات وتحلل ويستنتج منها الدلالة والمغزى والحلول المطروحة لحل مشكلة البحث. (سامي، ٢٠٠٢، ١٢٤)

المنهج الوصفي وحل المشكلة

يتضمن المنهج الوصفي قدر من التفسير للمشكلة وتستخدم هذه البيانات بعد تفسيرها في خدمة الباحث لحل المشكلة وهو يعتمد على عدة أساليب يستخدمها المنهج الوصفي لحل المشكلات البحثية وهي أساليب القياس والتصنيف والتفسير.

عند حل مشكلة أو تحديد خطة عمل يحتاج الفرد إلى أنواع عديدة من البيانات التي يمكن جمعها عن طريق المنهج الوصفي، وتنقسم هذه البيانات إلى ثلاثة أنواع:

١. يقوم النوع الأول منها على الظروف الحاضرة، أين نوجد الآن؟ ومن أين نبدأ؟ وقد تجمع هذه البيانات من خلال الوصف المنظم والتحليل المنسق لجميع الجوانب المهمة في الوقت الحاضر.
٢. ويتضمن النوع الثاني من البيانات ما قد نحتاج إلية، ويحدد الاتجاه الذي نتخذه، ولكي يتحقق هذا لابد من تحديد الظروف المرغوب فيها وأفضل الممارسات المرغوب فيها.
٣. النوع الثالث وهو طرق الوصول للهدف، وهنا يجب التعرف على الطرق السابقة وعلى آراء الخبراء، وكيفية اختيار أفضل الطرق التي توصل للهدف. (المسعودي، ٢٠١٨، ٦٦)

خطوات المنهج الوصفي

ذكرت الدكتورة "إخلاص" أن الخطوات المتبعة هنا هي الخطوات المتبعة في المنهج العلمي ويجب على الباحثين تطبيق خطوات الطريقة العلمية في ضوء طبيعة نمط الدراسة الوصفية.

يحدد "فان دالين" خطوات المنهج العلمي فيما يأتي:

١. لشعور بالمشكلة.
٢. حصر وتحديد المشكلة.
٣. اقتراح حلول للمشكلة (الفروض).
٤. اختبار الفروض.

وكما حددها "عبد الباسط حسن" في النقاط التالية:

١. الملاحظة والتجربة.
٢. وضع لفروض العلمية.
٣. اختبار الفروض.
٤. الوصول إلى تعميمات علمية.

ويرى "جبر عبد الحميد، وأحمد خيري كاظم" أن خطوات المنهج العلمي يمكن تحديدها كما يأتي:

١. تحديد المشكلة.
٢. جمع البيانات والملاحظات المتصلة بالمشكلة وتنظيمها. (العساف، ١٩٩٥، ١٦٧)
٣. فرض الفروض المناسبة.
٤. التنبؤ بظاهرات معينة في ضوء الفروض.
٥. البحث عن حدوث هذه الظاهرات.
٦. قبول الفرض أو تعديل أو رفضه وفق لمدى تحقيقه للظاهرات المتنبئ بها.

كما حدداها أيضا في:

١. تحديد المشكلة.
٢. جمع البيانات والملاحظات المتصلة بالمشكلة وتنظيمها.
٣. فرض الفروض المناسبة.
٤. اختيار أنسب الفروض.
٥. اختبار صحة هذه الفروض بالوسائل المناسبة.
٦. الوصول إلى نتائج أو حلول للمشكلة.
٧. استخدام لنتائج أو الحلول في مواقف جديدة.

ومن الاستعراض النظري السابق لخطوات المنهج العلمي يمكننا أن نحدد خطوات المنهج العلمي في النقاط التالية:

١ – لشعور بالمشكلة وتحديدها.
٢ – جمع المعلومات المتعلقة بالمشكلة.
٣ – وضع الفروض العلمية.
٤ – اختبار صحة الفروض.
٥ – تفسير النتائج.
٦ – تعميم النتائج (استخدام النتائج في مواقف جديدة). (ابو علام، ١٩٩٥، ٣٨)

خصائص الأسلوب الوصفي في البحث ومرتكزاته:

يتميز الأسلوب الوصفي بعدد من الخصائص تتمثل فيما يلي:

✓ أنه يقدم معلومات وحقائق عن واقع الظاهرة الحالية.
✓ يوضح العلاقة بين الظواهر المختلفة والعلاقة في الظاهرة نفسها.
✓ يساعد في التنبؤ بمستقبل الظاهرة نفسها.

ويرى الباحثون أن البحوث الوصفية ترتكز على خمسة أسس رئيسة تتمثل في الآتي:

➢ يمكن استخدام أدوات مختلفة للحصول على بيانات دقيقة وواضحة، سواء كانت أكثر خبرة أو مع استخدام أدوات أخرى مصاحبة مثل استخدام الخبرة والمقابلات والاستبيانات وتحليل الوثائق والسجلات..
➢ تهدف البحوث الوصفية أساساً إلى وصف وتحديد كمي لخصائص الظواهر موضوع البحث، فإنه لا بد من أن يكون هناك اختلاف في مستوى عمل تلك الدراسات. بينما يسعى البعض منها إلى مجرد وصف الظاهرة وصفاً كمياً أو كيفياً دون دراسة الأسباب التي أدت إلى ظهور المشكلة أو الظاهرة موضوع البحث.

- تعتمد الدراسات الوصفية على اختيار عينات ممثلة للمجتمع الذي تؤخذ منه، وذلك توفيراً للجهد والوقت ولغيرها من تكاليف البحث.
- لا بد من اصطناع التجريد خلال البحوث الوصفية حتى يمكن تمييز سمات الظاهرة موضوع البحث وخصائصها، خاصة وأن الظواهر في مجال العلوم الاجتماعية تتسم بالتداخل والتعقيد الشديدين. (حاتم، ٢٠١٤، ٣٦)
- ولما كان التعميم مطلباً ضرورياً للدراسات الوصفية حتى يمكن من خلاله استخلاص أحكام تصدق على مختلف الفئات المكونة للظاهرة موضوع البحث، فإنه لا بد من تصنيف الأشياء أو الوقائع أو الظواهر على أساس معيار محدد.

الأسس المنهجية للدراسات الوصفية

تستند الدراسات الوصفية إلى أسس منهجية أهمها التجريد والتعميم.

١ – التجريد:

وهي عملية عزل وانتقاء مظاهر معينة من "كل" كجزء من عملية تقويمه أو التوصل إلى الآخرين، ويبدو ذلك في التحليل الحركي عند تجزئة الحركة لمراحل وتجزئة الجسم لكل عضو وظيفة يهتم بها الباحث للدراسة. وكان هناك اعتراض على التجريد حيث أنه يقترب من ظاهر الأشياء وليس من باطنها. (البسيوني، ٢٠١٣، ٥٤)

٢ – التعميم:

إذا صنفت الوقائع على أساس عامل مميز (تثبت صدقه) والحكم متعلق بظاهرة واحدة وتعمم وقد يكون الحكم شامل فيبدأ بكلمة كل أو جمع أو لا واحد، وقد يكون جزئيا فيبدأ ببعض أو معظم. ويتضح ذلك في تعميم وجوب تقوية عضلات الظهر للاعب الغطس ولم يتم تحديد العضلات المراد تقويتها بالأخص لتحقيق أقصى استفادة. ووظيفة لتعميم الأساسية نه يسد تغرة بين ما استقرأناه من التحليل وما لم يشمله الاستقراء. (المنيزل وعدنان، ٢٠١٠، ١٢١)

ما يشتمله المنهج الوصفي

وذكر كل من الدكتورين "منى حمد لأزهري، ومصطفى حسين باهى" ما يشمله البحث الوصفي فيما يأتي:

١ – البحث المسحي:

وهو ذلك البحث الذي يقوم فيه الباحث بتطبيق أدوات البحث على أفراد المجتمع أو عينة كبيرة نسبيا وذلك بهدف وصف الظاهرة المراد قياسها فقط.

٢ – البحث الوثائقي:

وهو ذلك البحث الذي يهتم بدراسة الحاضر من مختلف لمصادر الأولية أو الثانوية.

٣ – البحث الحلقي:

وهو ذلك البحث الذي يعتمد على وصف الواقع والظواهر المختلفة كما هي ومن خلالها يمكن استنتاج الدلائل والبراهين.

٤ – التحليل المحتوى:

وهو ذلك الأسلوب للبحث يتم تطبيقه عن طريق الوصف الكمي الهادف المنظم لمحتوى أسلوب الأنصال.

٥ – البحث السببي المقارن:

يعتمد هذا البحث على المتغيرات المستقلة ومدى تأثيرها على المتغيرات التابعة وكذلك دراسة العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة. (جابر، ١٩٩٦، ١٠٩)

٦ – البحث الارتباطي:

يعتمد هذا البحث على دراسة العلاقة بين متغيرين أو أكثر، وكذلك معرفة اتجاه العلاقة هل هي علاقة إيجابية أم هي علاقة سلبية؟

٧ – البحث التتبعي:

يشير هذا البحث إلى دراسة النمو والتطور في الظواهر المراد دراستها وهى تنقسم إلى قسمين:

أ – البحث التتبعي الطولي: وهو دراسة ظاهرة على عينة واحدة خلال مرحل النمو المختلفة.

ب – البحث التتبعي المستعرض: وهو أخذ عينتين أو أكثر في وقت واحد من فئات عمريه مختلفة.

أنماط البحوث الوصفية

لا يوجد اتفاق بين الكتاب حول تصنيف محدد للدراسات الوصفية، وهناك أنماط كثيرة مختلفة له وتصنيفها ليس سهلا، ويكون التصنيف الأكثر شيعوا ما قد ذكره الدكتوران "جابر وأحمد خيري" وأشارت إلية الدكتورة "إخلاص" على أنه ما يأتي:

أولا: الدراسات المسحية.

ثانيا: دراسات العلاقات المتبادلة.

ثالثا: دراسات النمو والتطور. (رجاء، ٢٠٠١، ٨٩)

الدراسة المسحية دراسة شاملة مستعرضة لعدد كبير من الحالات نسبيا في وقت معين، ويفسر هذا النوع من الدراسات عن إحصائيات استخلصت وجردت من حالات معينة، ويقوم الباحث في هذه الحالة بجمع بياناته عن جزء من الواقع التي يهتم بها، وتوضع خطة البحث في هذه الحالة ليستفيد منها في استخلاص البيانات التي جمعت وتصدق نتائجها على المجتمع كله

وكان رأى الدكتورة منى أحمد الأزهري والدكتور مصطفى باهى في الدراسات المسحية أنه هو ذلك البحث الذي يقوم فيه الباحث بتطبيق أدوات البحث على أفراد المجتمع أو عينه كبيرة نسبيا وذلك بهدف وصف الظاهرة المراد قياسها فقط.

وفى الدراسات المسحية يقوم الباحثين بجمع أوصاف دقيقة مفصلة عن الظاهرات المدروسة بهدف استخدامها في التعرف على الأوضاع الراهنة، أو لتحسين الأوضاع الاجتماعية والتربوية والنفسية والرياضية والاقتصادية. وغيرها أو كشف الوضع القائم وتحديد كفاءته عن طريق مقارنته بمستويات أو معايير أو محكات تم اختيارها وإعدادها. (سامي، ٢٠٠٢، ١٨٥)

ومن أنواع الدراسات المسحية ما يأتي:

أ – المسح المدرسي.

ب – المسح الاجتماعي.

جـ – تحليل العمل.

د – تحليل الوثائق (تحليل المحتوى أو المضمون).

(أ) المسح المدرسي:

يمكن أن تصنف الدراسات المسحية الحديثة وفقا للهدف إلى ثلاثة أنواع الدراسة المسحية الشاملة. ويندر أن يقام بها لأن الظروف الملحة كثيرا ما تجبر المخططين على القيام بدراسة محدودة، والدراسات المسحية الشاملة تتناول عادة الجوانب الآتية:

١ – الأهداف، النتائج، وتحصيل التلميذ، المنهج والطريقة والمعينات التعليمية.

٢ – المشكلات والإجراءات الإدارية للمدارس.

٣ – السياسات والإجراءات المالية.

٤ – إدارة المبنى المدرسي والمحافظة عليه.

٥ – نقل التلاميذ (المواصلات).

٦ – هيئة التدريس والإدارة. (عبدالرحمن، ١٩٩٩، ٢٨)

٧ – مبنى المدرسة والعوامل المتصلة به.

وتتناول الدراسة المسحية التربوية البرنامج التعليمي للمدرسة وما يتصل به من نشطات وسياسات وإجراءات تلك التي تؤثر في فاعلية البرنامج التعليمي والدراسة المسحية التربوية إذا أضيف إليها دراسة مسحية المبنى تصبح دراسة مسحية شاملة.

ويتناول المسح المدرسي الموضوعات التالية:

١ – المناخ التعليمي.

٢ – خصائص المعلمين.

٣ – خصائص التلاميذ.

٤ – المناهج المدرسية. (فان دالين، ١٩٩٤، ١١٨)

(ب) المسح الاجتماعي:

يعد المسح الاجتماعي أحد أنماط المنهج الوصفي، ويستهدف دراسة الظروف الاجتماعية التي تؤثر في مجتمع ما، بغرض الحصول على بيانات ومعلومات يمكن الاستفادة منها في وضع وتنفيذ برنامج للإصلاح الاجتماعي.

وهو عبارة عن محاولة علمية منظمه لوصف وتحليل وتفسير الوضع الراهن لجماعة أو نظام ما أو بيئة معينة.

وعلى الرغم من فائدة الدراسات المسحية، إلا أن المسح الاجتماعي له حدوده ويجب على الباحث مراعاة ذلك، فالمسح الاجتماعي يركز على دراسة الحاضر وبالتالي لا يصلح للدراسات التطويرية التي تعتمد على الربط بين الماضي والحاضر، كما أن أهمية المسح تتوقف على عدد أفراد العينة.

تصنيف دراسات المسح الاجتماعي:

هناك العديد من التصنيفات الخاصة بدراسات المسح الاجتماعي وسنذكر بعض هذه التصنيفات وهى:

١ – التصنيف في ضوء الهدف من المسح.

أ – الدراسات المسحية العامة.

ب – الدراسات المسحية الخاصة.

٢ – التصنيف في ضوء المجتمع.

أ – المسح الشامل.

ب – مسح العينة.

٣ – التصنيف في ضوء الفترة التي تجمع فيها البيانات.

أ –جمع البيانات قبل البدء في البرامج المختلفة (المسح القبلي).

ب – جمع البيانات أثناء تنفيذ البرنامج (المسح الدوري).

جـ – جمع البيانات بعد تنفيذ البرامج (المسح البعدي). (عيسوي، ١٩٧٤، ٥٦)

✓ التصميم والإجراءات:

يتضمن تصميم البحث العلمي المقارن المقارنة بين مجموعتين مختلفتين بالنسبة للأفراد بالنسبة لمتغير مستقل، ومن ثم العمل على مقارنتها بالنسبة لمتغير تابع.

✓ وسائل الضبط: يسعى الباحث في الدراسات العلية المقارنة إلى ضبط المتغيرات الدخيلة من خلال مجموعة من طرق الضبط التالية:

١- التكافؤ: ونعني به أسلوب ضبط يستخدم في أحوال كثيرة في الدراسات التجريبية، بأن يقوم الباحث باختيار أفراد مجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة على شكل أزواج متناظرة بالنسبة للمتغير الدخيل، بحيث يكون لكل من الفردين في الزوج الواحد نفس المتغير المراد ضبطه.

٢- مقارنة المجموعات المتجانسة الكلية والجزئية: وتتمثل هذه الطريقة باختيار أفراد مجموعات الدراسة من قطاعات متجانسة من الأفراد إلى يشتركون في نفس المتغير المراد ضبطه.

٣- تحليل التباين المشترك:

يعد تحليل التباين المشترك أحد الأساليب الإحصائية التي تستخدم من أجل إضفاء التكافؤ على مجموعات الدراسة بالنسبة لمتغير واحد أو أكثر، وذلك بإدخال تعديلات على العلامات الخاصة بالمتغير التابع استناداً إلى الفروق التي تظهر ابتداء بين مجموعات الدراسة بسبب تأثير متغير دخيل أو أكثر، ويمكن الاستعانة بالحاسب الآلي للقيام بالعمليات الإحصائية اللازمة لذلك.

موضوعات المسح الاجتماعي:

تتعدد موضوعات المسح الاجتماعي لتشمل معظم الظواهر والمشكلات الاجتماعية ونذكر منها ما يأتي:

أ – دراسة الخصائص الديمغرافية أي السكانية لمجتمع ما.

ب – دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والدينية والرياضية والثقافية والسياسية لمجتمع ما.

جـ – دراسة اتجاهات الأفراد ودوافع سلوكهم.

(جـ) تحليل العمل:

ويتم عن طريق دراسة الأوضاع الإدارية والتنظيمية والتعليمية والصحية وغيرها، وفيه تجمع البيانات والمعلومات عن أنشطة وواجبات ومسئوليات العاملين.

وتساعد البيانات المتجمعة عن طريق تحليل العمل الباحثين في التعرف على ممارسات وظروف العمل الراهنة والسمات الشخصية التي يتميز بها العاملون في الوظائف المختلفة.

إن الباحثين في مجال دراسات تحليل العمل يستخدمون العديد من الأساليب لجمع البيانات الخاصة بدراساتهم مثل إجراء مقابلات مع العاملين وسؤالهم للتعرف على واجباتهم ومسئولياتهم، والقيام بملاحظات شخصية لتحديد المتطلبات الخاصة بالوظائف المختلفة. (ابو شعيرة، ٢٠٠٨، ١٧)

(جـ) تحليل الوثائق (تحليل المحتوى أو المضمون):

يرتبط تحليل الوثائق أى تحليل ما تحتويه من بيانات ومعلومات بالمنهج التاريخي، إلا أن البحوث التاريخية تهتم بدراسة الأحداث الماضية، أما استخدام تحليل الوثائق في البحوث الوصفية يهتم بدراسة الوضع الراهن.

ويفيد تحليل الوثائق في وصف الظروف والممارسات القائمة في مجتمع ما، والتعرف على الاتجاهات والفروق في الممارسات القائمة في المناطق أو البلاد المختلفة، كذلك التعرف على ميول الأفراد وقيمهم وأحوالهم الاجتماعية والنفسية والاقتصادية ... الخ.

ثانيا: دراسات العلاقات المتبادلة.

إن الباحث الوصفي لا يكتفى بمجرد الحصول على أوصاف دقيقة للظواهر التي يدرسها، ولكنه يهتم بالتعرف على العلاقات القائمة بين الحقائق التي حصل عليها بهدف الوصول إلى فهم أعمق للظاهرات المدروسة، وفيما يلي سنتناول الأنماط الخاصة بدراسات العلاقات المتبادلة وهي:

أ – دراسة الحالة:

تمثل دراسة الحالة نوعا من البحث المتعمق عن العوامل المعقدة التي تسهم في فردية وحدة اجتماعية ما، شخصا كان أو أسرة أو جماعة أو مؤسسة اجتماعية أو مجتمعا محليا (فان دالين، ١٩٩٤، ١٢٤)

ذكر "جابر عبد الحميد" أن تستخدم كوسيلة لجمع البيانات والمعلومات في دراسة وصفية ويمكن أيضا استخدامها في دراسة لاختبار فرض على شريطة أن تكون الحالة ممثلة للمجتمع الذي تعميم الحكم علية.

وكان رأى "إخلاص عبد الحفيظ، مصطفى باهى" في تشابه الدراسة المسحية ودراسة الحالة إلا أنه يوجد اختلاف بينهما من حيث أنه في الدراسة المسحية تجمع بيانات تتعلق بعوامل قليلة من عدد كبير من الأفراد، بينما دراسة الحالة يقوم الباحث بدراسة مستفيضة لعدد محدود من الحالات المختلفة، كما أن دراسة الحالة ذات طبيعة كيفية أكثر من الدراسة المسحية ونحصل عن طريقها على بيانات ومعلومات على درجة كبيرة من الأهمية والتي قد لا نستطيع التوصل إليها عن طريق الدراسات المسحية.

وخطوات دراسة الحالة كما يراها "جابر عبد الحميد" [١– تحديد الحالة المراد تحليلها، ٢ – جمع البيانات الضرورية لفهم المشكلة وتكون وجهة نظر فيها.]

ويرى كلا من "إخلاص عبد الحفيظ، مصطفى باهى" **ظروف استخدام دراسة الحالة:**

١– عند دراسة مواقف مختلفة دراسة تفصيلية.

٢ – عند دراسة التطور التاريخي.

٣ – معرفة العوامل المتداخلة التي تقوم بين الأفراد نتيجة حدوث التفاعل بينهم كالتنافس والتعاون والتوافق. (المسعودي، ٢٠١٨، ١٧٧)

وأضافا حدود دراسة الحالة:

١ – التحيز لآراء الباحث متجاهلا الجوانب التي تتناقض معها.

٢ – ميل المفحوص لرأى الباحث وفى ذلك تحريف للحقائق عن مواضعها.

٣ – لجوء المفحوص إلى عدم ذكر الحقائق كما حدثت فعلا، ويحاول كتابتها من وجهة نظره مبررا تصرفاته.

٤ – تعمد تضخيم الحوادث، وإضافة أحداث جديدة عليها فيصعب على الباحث تحديد ما حدث منها وما لم يحدث.

٥ – صعوبة تعميم النتائج وذلك لاختلاف الحالات.

٦ – يستهلك الباحث الكثير من الجهد والوقت والمال، مما يقلل من أهمية تلك الدراسات ومدى الاعتماد عليها في البحث.

وبين "جابر عبد الحميد" **الجوانب التي ينبغي للدارس أن يجمع بيانات عنها** فيما يأتي:

١ – النمو الجسمي.

٢ – التوافق المدرسي.

٣ – العلاقات الأسرية.

٤ – القدرات العقلية الخاصة والميول النفسية.

٥ – التوافق النفسي والاتزان الانفعالي.

ب – الدراسات المقارنة:

وهي من أنماط البحوث التي تدرس **كيف ولماذا** تحدث الظواهر موضع البحث، فهي تقارن جوانب التشابه والاختلاف بين الظاهرات لكي يحدد تصنيف العوامل التي تكمن وراء الظاهرة.

فالدراسات المقارنة تبدأ بأثر أو نتيجة، وتبحث عن الأسباب الممكنة لهذا الأثر أو النتيجة.

وأطلق "جابر عبد الحميد" على هذا النوع الدراسات السببية المقارنة وأوضح أهمية التحليل للوصول للسبب وذلك للدراسة وتقديم السبب وبالرغم من أن لهذه الطريقة بعض المزايا في دراسة المشكلات الاجتماعية، ألا أن لها جوانب نقص عديدة منها: الإخفاق في عزل عامل له دلالة حقيقية، استناد النتائج إلى عدد محدود من الوقائع. وهذا قد يؤدى بالباحث إلى نتائج كاذبة ومضللة.

وينبثق هذا النمط من الدراسات من طريقة جون ستيوارت ميل الكشف عن الروابط العلية. ولقد حدد ميل خمس طرق تعرف بطرق الاستقراء تستخدم في تحقيق الفروض.

الطريقة الأولى: طريقة الاتفاق أو طريقة التلازم في الوقوع.

الطريقة الثانية: طريقة الاختلاف أو التلازم في التخلف.

الطريقة الثالثة: طريقة التلازم في الواقع والتخلف.

الطريقة الرابعة: طريقة التغير النسبي أو طريقة التلازم في التغيير.

الطريقة الخامسة: طريقة البواقي. (البياتي، ١٩٨٣، ٧٤)

جـ – الدراسات الارتباطية:

تستخدم الدراسات الارتباطية لتحديد إلى أي حد تتفق التغيرات في عامل معين مع التغيرات في عامل آخر، وأيضا التعرف على حجم ونوع العلاقات القائمة بين المتغيرات، وقد ترتبط التغيرات مع بعضها البعض ارتباطا تاما أو ارتباطا جزئيا موجبا أو سالبا، وهي تصف بتعبيرات كمية درجة اتصال المتغيرات، ووجود علاقة ارتباطيه عالية تتيح الفرصة للتنبؤ، ويمكن تقدير العلاقة بين متغيرين.

مميزات البحوث الارتباطية:

يمكن تحديد مميزات البحوث الارتباطية في النقاط التالية:

١ – تفيد في دراسة المشكلات التربوية.

٢ – دراسة العلاقات بين المتغيرات في الظروف الطبيعية للمجال.

٣ – توضح درجة العلاقة بين المتغيرات وتساعد الباحث على فهم طريقة التفاعل بين هذه المتغيرات.

٤ – تعتبر دراسة استكشافية موثوق بنتائجها.

٥ – تساعد على التنبؤ بصورة دقيقة.

٦ – لا تتطلب استخدام عينات كبيرة.

ثالثا: الدراسات التطورية:

تتناول الدراسات التطورية الوضع القائم للظاهرات والعلاقات المتداخلة بينها، وكذلك التغيرات التي تحدث نتيجة لمرور لزمن، فهي تصف المتغيرات خلال مراحل تطورها في فترة زمنية معينة، ومن أوضح الدراسات التطورية دراسات النمو الاجتماعي أو النفسي أو الحركي أو الجسمي أو العقلي، وغيرها من مظاهر النمو الأخرى من الميلاد وحتى الشيخوخة، ويتبع في دراسة النمو إحدى الطريقتين:

١ – الطريقة الطولية.

٢ – الطريقة المستعرضة. (العساف، ١٩٩٥، ١٣٥)

١ – الطريقة الطولية:

في هذه الطريقة يتم قياس النمو لدى نفس الأطفال في أعمار مختلفة، ويحدد أنماط نموهم الفردية بالنسبة لهذه المتغيرات خلال تلك السنوات.

ففي هذه الدراسة يتم جمع بيانات متنوعة ومتعددة عن خلفية الثقافة والتربية والاجتماعية التي نشأ فيها المعلم، وعلاقاته مع الزملاء، وقدراته العلمية، وخبراته واتجاهاته وميوله، وانفعالاته، وقدراته العقلية، ونموه الجسمي، وحالته الصحية.

وكان لـ"جابر عبد الحميد" رأى في بعض الصعوبات التي تواجهه الطريقة الطولية فهي لا تتصل بتفسير البيانات بل بجمعها وفيما يلى أهم هذه الصعوبات:

١ – صعوبة واضحة لانتظار سنة بعد سنة، وللتغلب عليها تقوم هيئة بالبحث وإمكانيات متوفرة لها.

٢ – صعوبة الذوبان، وهي ناتجة عن طول الفترة (التعرض للمرض، فقد الرغبة في المشاركة في الدراسة، الهجرة، ...)

٣ – للتطور في طرق الدراسة وأساليب كثيرة في الحياة مما يجعل ما سبق من الدراسة طرق بالية.

والخلاصة يمكن تصميم الدراسة بحيث تجمع بين الطريقتين فنستخدم الطريقة المستعرضة كدراسة استطلاعية مبدئية للتوصل إلى فروض علمية يمكن إعادة تمحيصها بالطريقة الطولية. (جابر، ١٩٩٦، ١٨٩)

٢ – الطريقة المستعرضة:

وفى هذه الطريقة يقوم الباحث باختيار مجموعة من الأطفال في أعمار مختلفة وتطبق عليهم مجموعة واحدة من المقاييس بدلا من تكرار قياس نفس الأطفال كما في الطريقة الطولية.

كم تتناول الدراسة المستعرضة عددا كبيرا من المفحوصين وقياس متغيرات أقل من الدراسة الطولية.

ونوه "جابر عبد الحميد" نقلا عن فرنسيس جالتون ما حف من أخطاء بهذه الدراسة للأسباب التالية:

١ – الأشخاص الأكبر سنا يمثلون عينة منتقاة من مجتمع أكبر في فترة نمو سابقة ولهذا تعتبر دراسة استطلاعية وما نقدمه من بيانات عن النمو غير كاف وغير دقيق.

٢ – التشوه الناتج عن الهجرة الانتقالية في بيئة العينة.

٣ – عند التحدث عن فرد من فراد العينة موضع الدراسة فقد لا تتفق مع العينة في خصائص النمو، وهى لا تسمح إلا برسم منحنيات المتوسطات.

تقويم البحوث الوصفية

البحوث الوصفية أمر لا غنى عنه في العلوم السلوكية كعلوم التربية وعلم الاجتماع لأنها في هذا المجال تحقق هدفين أساسيين أما أو لهما فهو تزويد العاملين في المجلات الاجتماعية والتربوية والنفسية بمعلومات حقيقية

عن الوضع الراهن للظاهرات المنوعة التي يتأثر بها في عملهم ومثل هذه المعلومات ذات قيمة عملية قد تؤيد ممارسات قائمة، أو ترشد إلى سبل تغيرها نحو ما ينبغي أن يكون، وهذا هو الهدف التطبيقي، أما ثاني الهدفين فهو الهدف العلمي حيث نقدم هذه الدراسات من الحقائق والتعميمات ما يضيف إلى رصيدنا من المعارف مما يساعد على فهم الظواهر، والتنبؤ بحدوثها.

ومن المعارف أن كثير من الظاهرات النفسية والتربوية والاجتماعية لا يمكن إخضاعها للتجريب المعملي ومن هنا تجئ أهمية الدراسات الوصفية التي تجرى في المصانع والمدارس والمتاجر والأندية والبيوت، على أن للدراسات الوصفية حدودها ونواحي قصورها ومن أهمها ما يأتي:

١ – صعوبة قياس بعض الخصائص التي تهم الباحثين في مجال السلوك الإنساني مثل قياس الروح المعنوي، والدوافع وسيمات الشخصية بل وصعوبة عزلها وقد يرجع ذلك إلى عدم تطور المقاييس التي نستخدمها وتقنينها بكفاءة وقد يرجع إلى تعقد الظاهرة النفسية وعدم تعيينها ٠ فنضطرب إلى الدوران حولها لقياسها، ولا يمكن أن تسفر الدراسات الوصفية عن نتائج هامة إذا استندت إلى بيانات خاطئة ٠ وكثير من الباحثين في هذا المجال لا يمحصون مصادرهم الأصلية، فيستقون معلوماتهم من سجلات قد لا تكون أصلية أو ملاحظات متحيزة.

٢ – صعوبة تحديد المصطلحات: لم يتوصل دارسو سلوك الإنساني إلى مصطلحات محددة تلقى القبول وتجد الاتفاق بينهما جميعا، وذلك لاختلاف أطرهم النظرية سواء أكان ذلك في إطار علم بعينه كعلم الاجتماع أو علم النفس أو علم التربية أو لانتماءاتهم المختلفة ولذا نجد العلماء يستخدمون نفس المصطلح ويقصدون به معانى مختلفة ومن أمثلة ذلك مصطلح التصلب Rlgdity قد يستخدمه باحث بمعنى عجز الفرد النسبي عن تغير أفعاله عندما تتطلب الموافق الموضوعية ذلك٠بينما يستخدمه باحث آخر ليعني عجزا عن تغيير اتجاهاته النفسية، أو مدركاته، ويترتب على ذلك قصور في التفاهم وتوصل إلى نتائج للبحوث تبدو متعارضة وهى في حقيقتها تتناول جوانب مختلفة. (حاتم، ٢٠١٤، ٣٢)

٣ – صعوبة فرض الفروض في البحوث الوصفية يبدأ البحث العلمي الجيد عادة بفرض وهو افضل تخمين يتناول تحديد علاقة علية بين متغيرين أو أكثر كأن يحدد مثلا العلاقة بين جانب من سلوك التلاميذ والظروف التي تؤدى إليه، ومعظم البحوث الوصفية لا تستطيع أن تبدأ بفرض أو فروض لأنها تبدأ دون أن يتوافر عن موضوع الدراسة مجموعة من الحقائق تشير إلى نتيجة تقريبية معينة يمكن أن تكون مصدرا للفرض، ويندر أن تتوافر لديها قوانين ونظريات معروفة فيما يتعلق بالمشكلة التي تتطلب البحث يمكن أن يكون عليه الفرض، وذلك لأن هذه البحوث في أساسها دارسات استطلاعية قد تنتهى إلى وضع فرض الفروض توضع موضع التجريب أي أن مهمتها استكشاف الجوانب الغامضة في الظاهرة موضع الدراسة بالقصد

التعرف على ملامحها وخصائصها، وتحديد العوامل التي تحيط بالمشكلة بقصد تشخيصها والعمل على حلها فهي تستهدف إذن زيارة رصيدنا العلمي ولذلك يحدد البحث الوصفي أهدافا له، أو قد يضع عددا من الأسئلة تستغرق الاحتمالات الممكنة أو جميع الحلول المتوقعة بل أن البحوث الوصفية حين تضع لنفسها فروضا فأنها لا ترقى من حيث الصياغة والدقة إلى ما نجده في البحوث التجريبية لأن عملها وصف ما هو قائم، وليس استقصاء المتغيرات المسببة له، بل إنها قد تعجز عن عزل هذه المتغيرات لأنها تعالج في العادة ظاهرات كبيرة الحجم متداخلة العوامل ومتشابكة المتغيرات.

٤ – صعوبة القياس الدقيق والتجريب كثيرا ما تجرى الدراسات الوصفية في مواقف طبيعية في حجرات الدراسة وفى القرى والمدن، وفى المصانع وفى الأندية، وكثيرا ما تعتمد على أكثر من فرض لجمع البيانات في هذه المواقع مما يعرض هذه البيانات لعوامل التحيز والخطأ، وكثيرا ما تكون العينات المدرسية كبيرة الحجم وبالرغم من التزام الدقة في قياس الظاهرة ألا أن عوامل الزمان والمكان واختلاف ظروف الباحثين والمبحوثين قد تحول دون تحقيق المستوى الكافي من الضبط والدقة التي تجدها في تجارب المعمل، ومن هنا نجد أن غاية ما يمكن تحقيقه هو تحديد درجة من الارتباط بين متغيرين أو أكثر، واستخدام الأساليب الإحصائية لتحقيق قدر من الضبط عند تحليل البيانات.

٥ – التعميم والتنبؤ: يبدأ العلم بأوصاف لحقائق النوعية، ويمضي من ذلك إلى استخلاص التعميمات والربط بين المتغيرات ومحاولة تقيل حدوث، غير أن معظم البحوث الوصفية محدودة في هذا المجال ولذلك فإنها تستهدف حل مشكلات معاصرة في مكان معين وزمان بعينة، والظاهرات الاجتماعية والنفسية والتربوية تتغير من يوم إلى آخر، وقد تختلف من مجتمع إلى آخر، بل قد تختلف في داخل المجتمع الواحد، فهي ليست ثابتة ثبات الظاهرات الطبيعية وذلك لأن الباحث في هذا المجال يدرس عينة معينة وكثيرا ما يعجز عن الحصول على عينة تمثل المجتمع كله، وما يصدق على عينة ذات خصائص معينة قد لا تصدق على عينة أخرى ذات خصائص مختلفة.

وكان رأى كلا من "إخلاص عبد الحفيظ ومصطفى باهى" في بعض المشكلات المرتبطة بهذه النوعية من البحوث وهي:

١. البيانات الوصفية متعددة ومتشعبة نظرا لتعقد الظاهرات الاجتماعية.
٢. تعتبر عديمة القيمة عند بنائها على بيانات خاطئة.
٣. لاختلافات في تحديد المصطلحات.
٤. تصف الواقع الموجود بالفعل، ونادرا ما تحاول تفسير أسباب حدوث الظاهرة على النحو الذي بدأت علية.
٥. صعوبة القياس والتجريب.

٦. البحوث الوصفية محددة بفترة زمنية محددة فإنها لا تملك قوة تنبؤ كبيرة. (البياتي، ١٩٨٣، ٧٨)

الخاتمة:

تعد البحوث الوصفية أكثر طرق البحث شيوعاً في مجال التربية وعلم النفس، ويهدف البحث الوصفي إلى جمع بيانات من أجل اختبار الفرضيات أو الإجابة على الأسئلة التي تخص الوضع الحالي لأفراد الدراسة، ولذلك على الباحث أن يكون حريصاً فيما يتصل باختيار العينة وجمع البيانات، كما أن عليه أيضاً أن يحرص على استخدام الأداة الأكثر ملاءمة للحصول على البيانات المطلوبة.

إن البحوث الوصفية تمد الباحث بحقائق دقيقة عن الظروف القائمة وتساعده على أن أو يستنبط علاقات هامة بين الظواهر الجارية وتفسير معنى البيانات، وكذلك فإن المعلومات الحقيقية عن الوضع القائم تساعد أعضاء المهنة من وضع خطط أكثر ذكاء عن البرامج المقبلة للعمل، وتساعدهم على شرح المشكلات التربوية لعامة الناس بطريقة أكثر تأثيراً.

ولا تزودنا الدراسات الوصفية بمعلومات عملية يمكن أن تستخدم لتبرير الموقف الحالي أو تحسينه فحسب، ولكن تمدنا أيضاً بالحقائق التي يمكن أن تبنى عليها مستويات أعلى من الفهم العلمي.

وتعتبر البحوث الوصفية خطوة أولية ضرورية، وفي بعض الأحيان الطريقة الوحيدة التي يمكن استخدامها لدراسة المواقف الاجتماعية ومظاهر السلوك الإنساني، وقد أدى المنهج الوصفي إلى تطور كثير من أدوات البحث، كما أمدنا ببعض الوسائل لدراسة الظواهر التي لا تستطيع بعض الطرق الأخرى من دراستها.

المصادر

١. ابو علام، رجاء محمود، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط ٢، دار النشر للجامعات المصرية، مصر، ١٩٩٩.
٢. ابو شعيرة، خالد محمد، منهج البحث العلمي، مكتبة المجتمع العربي، عمان، ٢٠٠٨.
٣. حاتم، عبد المجيد، مناهج البحث العلمي، ط ٢، مركز ابحاث المستقبل، فلسطين، ٢٠١٤.
٤. البسيوني، محمد سويلم، اساسيات البحث العلمي في البحوث التربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٣.
٥. الجابري، كاظم كريم، منهاج البحث العلمي، كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠١١.
٦. المنيزل، عبدالله فلاح، وعدنان يوسف العتوم، مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية، مكتبة الجامعة، عمان، ٢٠١٠.
٧. جابر عبدالحميد جابر وأحمد خيري كاظم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦.

٨. رجاء محمود علام: مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط ٣، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠٠١.
٩. سامي محمد ملحم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط ٢، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٢.
١٠. عبدالرحمن عدس: أساسيات البحث التربوي، ط ٣، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٩.
١١. فان دالين: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل نوفل وآخرون، ط ٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤.
١٢. المسعودي، محمد حميد، مسلمات تطبيق منهج البحث التربوي، دار الرضوان، عمان، ٢٠١٨.
١٣. العساف، صالح بن احمد، المدخل الى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكات، الرياض، ١٩٩٥.
١٤. عليان، ربحي مصطفى، وعثمان محمد غنيم، مناهج واساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، دار صفاء، عمان، ٢٠٠٠.
١٥. عيسوي وعبد الرحمن محمد، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٤.
١٦. البياتي، عبد الجبار توفيق، بعض الاعتبارات المنهجية والمقارنة بين بحوث التقويم والبحث التربوي في التربية، المجلة العربية للبحوث، تونس، ١٩٨٣.